# الثقافة والأدب الشعبيين الجزائريين( المسار التاريخي والراهن)

# Algerian popular culture and literature (historical and current track)

**سعاد حميدة**[1]

[1]**المركز الجامعي_ عبد الحفيظ بوالصوف_ ميلة (الجزائر)، hamidasouad@yahoo.fr**

**تاريخ الاستلام: 2021/04/23 تاريخ القبول: 2021/10/21 تاريخ النشر: 2021/12/23**

**ملخص:**

لقد مرت الثقافة الشعبية الجزائرية بمراحل تاريخية متعددة، انقسمت هذه الفترات إلى ما قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه وبعده، فلقت اهتماما من المؤسسة الاستعمارية وكذا المؤسسة الوطنية، وطبعت الدراسات حينها بالذاتية حينا وبالموضوعية حينا آخر، ما جعلها تعيش دوما أزمة وضبابية، وهو نفس المناخ الذي عرفه الأدب الشعبي الجزائري، فهو المولود الذي لم يلق كامل الاهتمام لينمو ويخصب، وفي هذا المقال سنحاول النبش عن جذور الاهتمام بالثقافة والأدب الشعبيين في الجزائر في هذه المراحل، وما راهنه اليوم.

فهل تغير حاله أم مازال يعيش ازمة مثلما كان حتى جناح المؤسسة الاستعمارية؟

**كلمات مفتاحية:** الثقافة الشعبية: الفولكلور، الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الاستعمارية، المؤسسة الوطنية.

**Abstract:**

Algerian popular culture has gone through multiple historical stages, these periods were divided into before, during and after the French occupation, and it received attention from the colonial establishment as well as the national institution, and studies were printed at that time with subjectivity and objectively at other times, which made it always live in crisis and fog, which is the same climate that it knew. Algerian folk literature, for it is the birth that

المرسل المؤلف: **سعاد حميدة**

did not receive full attention to grow and be fertile, and in this article we will try to dig up the roots of interest in popular culture and literature in Algeria in these stages, and what it is today.
Has his situation changed, or is he still experiencing a crisis, as it was even the wing of the colonial establishment?
**Keywords:** Popular culture; folklore; Algerian folk literature; the colonial institution; the national institution..

**مقدمة:**

إن الاهتمام بالثقافة الشعبية الجزائرية بدأ نهاية الحكم العثماني بالجزائر من قبل بعض مثقفيها، ومع الاحتلال الفرنسي، كانت الثقافة الشعبية أحد أهم اهتماماته، فقد عملت فرنسا بإداريها وما سخرته من فرق الأنثروبولوجيين والباحثين والضباط، على تجميع المادة التراثية والتعليق عليها في كتب ومذكرات، قصد التعرف على الجماعات الجزائرية (تقاليد، عادات، دين، زوايا...)، كما تكوّن في مدارس الاستعمار بعض من أبناء الأهالي الذين اجتذبهم حب الاهتمام بالتراث المحلي وأشكال التعبير الشعبي، فكونوا لأنفسهم توجهات عبروا ودافعوا عنها في آراء نقدية.

وباعتبار الأدب الشعبي أحد الفروع المنبثقة عن الثقافة الشعبية، فهو الآخر قد تجاذبته اهتمامات الدارسين منذ العهد الاستعماري، ولكنه لازال لليوم يعيش وضعا باهتا، وهو ما يثير التساؤل: لماذا لم تنل الثقافة الشعبية عموما والأدب الشعبي الجزائري خصوصا نصيبهما من الاهتمام، الذي ينجم عنه التطوير والارتقاء رغم أن الفترة الزمنية طويلة تعود لما قبل الاحتلال الفرنسي؟، ولم لم تسهم فترة الاستقلال في إعادة الاعتبار للثقافة والأدب الشعبيين الجزائريين؟، وهو ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المقال.

## 1_الأدب الشعبي في مقابل مصطلحات أشمل:

قبل الخوض في إدراج مصطلح الأدب الشعبي، لابد من المرور على مصطلحات يعتبر الأدب الشعبي جزءا منها أو أحد أشكالها، من أهم هذه المصطلحات الفولكلور، بالإضافة إلى ما ولدته الترجمات العربية من مصطلحات مقابلة لهذا الأخير، ونبدأ بمصطلح:

### أ_ الفولكلور:

لقد وضع هذا المصطلح لأول مرة من قبل الإنجليزي "وليم جون توماس Thomas jhon William " منتصف القرن التاسع عشر ، وهو لغويا يتكون من لفظين folk بمعنى شعب، loreبمعنى معرفة، أي أن كلمة فولكلور تعني المعرفة الشعبية ، وتوماس يعرفه بأنه« المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة بين عامة الناس، وبأنه آداب السلوك والعادات وما يراعيه الناس، والخرافات والأغاني الروائية Ballades والأمثال...الخ التي ترجع إلى العصور السالفة» (مصطفى، 1991، صفحة 964) ولكن المصطلح بعدها لم يعد مقصورا على العادات والتقاليد والفنون، المتمثلة سواء في الرقص أو الموسيقى فقد أصبح يشمل كذلك ما يسمى بالمواد المشكلة، والتي حكم عليها بالشعبية، من هذه المواد تلك « التي لها وظائف حيوية واجتماعية كالنقوش والصور، والتماثيل والعمارة ، وبعض الدارسين يرى أن الحرف والصناعات اليدوية المتداولة ، تدخل في مجال الفولكلور» (يونس، صفحة 348) ، فيما هناك فئة قصرته على التراث الشفوي فحسب.

وإن عاش هذا المصطلح الجدل والاختلاف في الثقافات الغربية، فإنه عاش فوضى مصطلحية ربما أشد حدة في الثقافة العربية، إذ قابلته الترجمات بعدة مصطلحات معربة، وتبنى كل باحث عربي المصطلح الذي يراه أنسب، ففئة تبنت مصطلح التراث الشعبي، وأخرى المأثور الشعبي، فيما رأت غيرهما أن الثقافة الشعبية أفضل مقابل للفولكلور، وهناك من رأى أن الإبقاء على المصطلح العالمي أفضل حل من بينهم الدارسين المصريين" أحمد مرسي ومحمد الجوهري".

**ب_ التراث الشعبي:**

هو من بين المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية، وهو مرادف لمصطلح الموروث الشعبي، وعند استعراض الباحث" لطفي الخوري" في مؤلفه التراث الشعبي المفهوم عند عدة فئات من العلماء فقد أبان أن« إحداهم تراه محصورا في المواد الثقافية الخاصة بالشعب، أي الثقافة العقلية والاجتماعية والمادية وأخرى تراه محصور في المعتقدات والعادات الشائعة والرواية الشعبية، وهو المرادف للفولكلور هنا، فيما أخرى تراه لا يشتمل فقط على ما يقال أو ما يحكى، وإنما يشتمل على ما يفعل وما يظهر للعيان» (الخوري، 1979، صفحة 8)، والاختلاف بين الدارسين هنا يفضي إلى أن المصطلح لا يمثل التراث الروحي أو التراث الشفاهي

فقط، بل إنه يمثل التراث المادي الذي عاشه وابتكره الشعب، وعلى إثره نشأ التراث الشفاهي، بحيث أن الواقع المادي سابق للتراث الشفاهي، فالإنسان لما حقق الاستقرار في واقعه كانت النتيجة أن عبر عن واقعه، بتأليف الحكايات وإطلاق الأمثال...الخ، ومنه أعطى الخوري مفهومه للتراث بأنه« ليس مجرد دراسة الثقافة الروحية للشعب، بل إنه أكثر التصاقا بثقافته المادية بأوسع معانيها» (الخوري، 1979، صفحة 10) ، ومقارنة بسيطة توحي أن تخلي بعض الدارسين عن مصطلح " الفولكلور" وتبنيهم مقابله" التراث الشعبي" ، كون هذا الأخير أوسع دلالة وأكثر مناسبة للتراث الحي المتجدد.

**ج_ المأثورات الشعبية:**

المأثور في الاستعمال اللغوي هو القديم المتوارث جيلا بعد جيل، وقد حرص بعض الدارسين على تبنيه مصطلحا مقابلا للفولكلور، والدارس المصري عبد الحميد يونس يستعملهما كلفظين مترادفين« ويظهر ذلك في استعمالهما معطوفين على بعضهما» (يونس، صفحة 63) ، ولكننا نلاحظ أن هذا المصطلح مقصور فقط على ما هو من الماضي والقديم، وبالتالي فهو لا يهتم بما هو مستجد على ثقافات الأمم.

**د_ الثقافة الشعبية:**

الثقافة الشعبية هي من المصطلحات التي استعملت في الدراسات العربية، كبديل عن مصطلح الفولكلور، من تعريفاتها أنها تعني« كل ما يرث المجتمع من أجياله السابقة باستثناء الصفات الحياتية الطبيعية، من نظم وقيم ومعتقدات اجتماعية وفكرية ودينية وأنماط سلوكية، ومهارات فنية يسيطر بها على بيئته، ويكيف نفسه لها، ويستطيع بواسطتها إشباع حاجياته الحياتية والاجتماعية، وغيرها من جيل إلى الجيل الذي يليه» (مصطفى، 1991، صفحة 230)، ولقد عرف هذا المصطلح تداولا في الجزائر كمقابل للفولكلور أو التراث الشعبي، وهو بهذه الترجمة مصطلح مناسب لحد كبير، كونه يهتم بكل ما تتوارثه الأجيال، ويظل متجددا في الآن ذاته، لأن المجتمعات تضيف إبداعاتها له فيستقبلها وتتلاحم مع سبقها معبرة عن منتجها.

ومفهوم هذه المصطلحات يقودنا لوضع تعريف للأدب الشعبي، وضبط علاقته بالفولكلور عموما أو الثقافة الشعبية، فالأدب الشعبي هو أحد موضوعات التراث الشعبي اللامادي التي لها مكانة هامة وفي

ذلك يقول الدكتور محمد الجوهري« لعل من أيسر الأمور على الباحث أن يدعي انتماء الأدب الشعبي إلى التراث الشعبي، ليس كميدان عادي، وإنما كواحد من أبرز موضوعاته وأكثرها عراقة ، ووجه اليسر في هذا أن علم الفولكلور كان في مرحلة من مراحل تطوره، يقوم أولا وأخيرا على دراسة الأدب الشعبي، فالأدب الشعبي موضوع تقليدي بارز من موضوعات التراث الشعبي، لسنا في حاجة إلى أن نسوق أدلة على ذلك...ومهما اختلف الباحثون على حدود علم الفولكلور، فهم لا يختلفون لحظة عن أن ميدان الأدب الشعبي يقع في مكان القلب من هذا العلم» (الجوهري، 1981، صفحة 114) ، فهذا الميدان ميدان خصب يعتبر مرآة، تنعكس عبره عادات وتقاليد وطريقة عيش المجتمعات وأنماط تفكيرها، وهو يعني باختصار« الجانب المنطوق من الفولكلور، ويشمل الأمثال والقصص والحكايات الخرافية والأساطير والأغاني والأشعار والألغاز، التي يتوارثها الأجيال شفاهيا لتؤدي وظائف اجتماعية متنوعة» (زغب، 2008، صفحة 8) .

فالفولكلور إذن ينقسم لشقين لامادي يعني ما « يُخلفه الأجداد من آثار ظلت باقية، من منشآت دينية وجنائزية كالمعابد والمقابر والمساجد والجوامع، ومبان حربية ومدنية مثل الحصون والقصو، والقلاع والحمامات، والسدود والأبراج، والأسوار، والتي تُعرف في لغة الأثريين بالآثار الثابتة، إلى جانب الأدوات التي استخدمها الأسلاف في حياتهم اليومية، والتي يُطلق عليها الأثريون الآثار المنقولة» (محمد، 1992، صفحة 90_91)، أما التراث اللامادي فتعرّفه اتفاقية اليونسكو لسنة 2003 بكونه « الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعتبرها المجموعات وأحيانا الأفراد جزء من تراثها الثقافي، هذا التراث الذي يسمى أيضا "التراث الثقافي الحي" يشمل العادات وأشكال التعبير، بما فيها اللغة التي تمثل محرك التراث الثقافي الغير مادي، فنون الاستعراض، الممارسات الاجتماعية، الطقوس الأحداث الاحتفالية، المعارف والتفاعلات مع الطبيعة والكون الكفاءات والمهارات المرتبطة بالحرف التقليدية»(http://www.opvm.dz, 2021) ، ومنه فالتراث اللامادي أو المعنوي يشمل: الأداء، الممارسة، المهارة.

**2_العناية بالثقافة الشعبية الجزائرية :**

العناية بالثقافة الشعبية الجزائرية في تاريخها مرت بمراحل معينة سنحاول التعرف على أبرز هذه المراحل:

**2.أ_ عناية المؤسسة الاستعمارية:**

إثر نزول القوات الفرنسية والعسكرية إلى الجزائر، كان من الضروري لهذا المستعمر أن يدرس عقلية الخصم، فقد« كانت إذن هناك حاجة لمعرفة سكان المراكز التي تمكن احتلالها عسكريا، معرفة تخدم استراتيجيته العسكرية، فبدأت تظهر الدراسات التي تتناول الحياة الشعبية في هذه المراكز، وكان يقوم بها العسكريون أنفسهم » (بورايو، 2007، صفحة 7) ، فقيامهم وإشرافهم على هذه الدراسات كان لحاجتهم لإثنوغرافيا عسكرية في بداية الاحتلال، تتكئ على الثقافة الشعبية لفهم طبيعة الجزائريين ومن ثمة إحكام السيطرة عليهم.

ولأهمية هذه الخطوة في الاستكشاف العلمي للمجتمع الجزائري، يشير الباحث عبد الحميد بورايو إلى أن مواد الثقافة الشعبية « قام ضباط عسكريون بتسجيلها من أفواه أهلها وتحليلها ودراستها، عن طريق أكثر المناهج استجابة للغرض النفعي، المقصود من طرف الإدارة الاستعمارية، وهو إحكام السيطرة على الأهالي» (بورايو، 2007، صفحة 8) ، وهو ما عملت جاهدة على تحقيقه.في مرحلة تالية تحولت الإثنوغرافيا العسكرية الاستراتيجية التي رسمتها الإدارة الفرنسية إلى أنثروبولوجيا تكتيكية على حد تعبير بورايو، حيث الهدف في هذه المرحلة هو تكريس الدراسات العلمية، وجعلها في خدمة الإدارة الفرنسية، فعملت على إنشاء هيئات علمية تقوم بالمهمة « فظهرت الجمعية الجغرافية، الجمعية التاريخية الجزائرية، التي أصدرت المجلة الإفريقية التي كانت مجالا لنشر أبحاث حول الحياة الشعبية الجزائرية، بالإضافة لعقد المؤتمرات العلمية الدورية، وآخر الجمعيات كانت الجمعية الأنثروبولوجية_ الأركيولوجية لعصور ما قبل التاريخ، هذه الأخيرة أسست في منتصف الخمسينات من القرن العشرين مركز البحث الأنثروبولوجي ولما قبل التاريخ والإثنولوجيا، وهو بدوره أصدر مجلة لازالت لليوم تسمى مجلة ليبيكا» (بورايو، 2007، صفحة 8_9) .

إن السياسة الاستعمارية في تناولها مواد الثقافة الشعبية، ركزت على أكثر المواد انتشارا في القطر الجزائري، حيث ذلك يسهل عليها الأمر ويعطيها فرصة دراسة عقلية المجتمع، ولقد وجدوا مع في اهتمام الفرد

الجزائري الأمّي بالطرق الدينية، والممارسات الشعائرية للجماعات الصوفية، فرصة للتركيز على هذه الظاهرة التي ساد انتشارها نهاية القرن19 وبداية القرن20، من هنا اتجهت أقلام الضباط العسكريين للكشف عن هذه الجماعات، والدراسات تظهر في الجدول التالي: (بورايو، 2007، صفحة 10_11_12)

| الضابط العسكري والأكاديمي ( الباحث) | كتاباته |
|---|---|
| أ. دونوفو E.Deneveux | تكلم فيه عن أعضاء الطريقة ومعلوماتهم وملاحظاته عليهم. |
| ك. ترومليه C.Trumulet | الأولياء الصالحين بالقطر الجزائري وأضرحتهم والمعتقدات المتصلة بهم، وسجل قصصا متعلقة بكراماتهم. |
| ألكسندر جولي Alexander Joly | نشر بحوثا في المجلة الإفريقية عن الأولياء الصالحين |
| رينيه باسيط R.Basset | كتابه تضمن قصصا عن الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف |
| م. دوماس M.Dumas<br>م. فابار M.Fabar | روجا في كتابتهما للفكرة البربرية وانتهيا إلى أن القبائلي والعربي مختلفان في العادات والتقاليد والذهنية، والقبائلي أرقى من العربي. |
| باربي Barbet | قارن بين المرأة القبائلية والمرأة العربية |
| أ. بوردو A.Burdeau | كتب عن القبائل والعرب مستنتجا أن ليس هناك إلا بربري هو الآن نصف متحضر. |
| إدموند دوتي Edmond Doutte<br>إيميل فيليكس غوتيي Emile Felix Gautier | اللغة البربرية تتراجع وهي في طريقها إلى الاندثار |
| جان ديسبرميه Jean Desparmet | أكد أن المادة الفولكلورية بصفة عامة هي نفسها في مختلف مناطق البلاد، وأن العادات والتقاليد المتعلقة بدورة الحياة تتشابه في كل مكان. |

كل هذه الأبحاث كانت في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى من قبل الضباط العسكريين وكذا الأكاديميين، الذين ورغم الغطاء الأكاديمي إلا أن خدمتهم للسياسة الاستعمارية تبدو ظاهرة، من خلال النتائج المستجيبة لمتطلبات سياسية استعمارية.

أما في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، فالتغيرات مست العالم ولم ينأ المجتمع الجزائري عن ذلك، فقد « ازداد عدد المهاجرين إلى أوربا، وظهرت جمعية العلماء المسلمين التي شنت حربا لا هوادة فيها على الطرق الدينية والمعتقدات، التي كانت تروج لها هذه الجماعات الدينية، وأدى ذلك إلى اختفاء بعضها وضعف بعضها الآخر، ولاقت السياسة الاستعمارية مصاعب جمة في هذه الفترة، في ظل هذه الظروف لجأ البحث العلمي الاستعماري إلى الماضي وإلى الثقافة الشعبية المادية، فعالج المساكن الأهلية والصناعات التقليدية والفنون الأهلية وبقايا السحر »(بورايو، 2007، صفحة 13).

وفيما يخص الأدب الشعبي الجزائري وحظه من البحث الاستعماري، فقد نال حظا ضئيلا من الاهتمام، « وما حظي منه بالاهتمام كان يرتبط ارتباطا مباشرا بالثقافة المادية، واعتمده الباحثون الفرنسيون كمادة تصلح للكشف عن سلوك الإنسان الجزائري، وردود أفعاله، وأهملوا إهمالا تاما الطبيعة الفنية لهذا الأدب وكان من الطبيعي في هذه الحالة، أن يجد هؤلاء الباحثون غرضهم في الجانب المتعلق بالعقيدة منه، وبصفة خاصة قصص الأولياء الصالحين» (بورايو، 2007، صفحة 15)، فهذا الاهتمام السطحي بفنية أشكال التعبير الشعبي عائد للأغراض النفعية التي تريدها الإدارة الاستعمارية لا غير.

سطحية الأبحاث الاستعمارية فيما يخص الأدب الشعبي تقف وراءها أسباب هي كما يبنها بوراييو :(بورايو، 2007، صفحة 15_16): _ الاكتفاء بترجمة بعض النصوص والتعليق عليها.

_تفسير الإشارات المتعلقة بالمعتقدات وهم لا يهتمون بالنصوص في حد ذاتها، بقدر ما يهتمون بمضامينها الاعتقادية.

_عملية جمع النصوص لم تكن تخضع للتوجيه العلمي، بقدر ما كانت خاضعة لعوامل الصدفة والارتجال.

_انعدام الثقة بين الرواة والجامعين الفرنسيين، إذ يعترف الكولونيل "ك. تريميليه" أنه« ليس من السهل أبدا أن نجعل أحدا من الأهالي الجزائريين يتكلم خاصة إذا كان الأمر يتعلق بموضوع يتصل في جانب من جوانبه بديانتهم وبمعتقداتهم وبأوليائهم، وغياب شرط الثقة يعني انعدام شرط أساسي من شروط الجمع الميداني.

_استعلاء الجامعين الفرنسيين ونظرة الاحتقار تجاه مواد الثقافة الشعبية.

_جمع المادة من شعراء مناسبات أجبرتهم الظروف المعيشية على أن يصبحوا شعراء بالقوة( شعراء يحفظون وليس مبدعين)، وبالتالي المادة تكون سطحية لضعف من يروونها.

_الحياد بأهداف الأبحاث وخضوعها للذاتية المفرطة، فلقد« انقلبت في مقالة ديسبرميه الروح الوطنية في المغازي، والتغني بالماضي الملحمي كما صورته المخيلة الجمعية والإعلاء من شأن الهوية القومية، إلى مشاعر حقد وعنصرية، وأصبح راس الغول وفق تأويلاته يرمز لليهود والفرنسيين» (بورايو، 2007، صفحة 18) وفي ذلك إثارة للفتنة والتحريض على مشاعر البغض والحقد.

والجدول التالي سيحصي مجموع الأبحاث في الأدب الشعبي الجزائري: (بورايو، 2007، صفحة 17)

| الباحث | كتاباته |
|---|---|
| رونيه باسيط Rene Basset | _كتب عن بنت الخص وانتهي إلى أنها تعود إلى التقاليد التي حملها بنو هلال في هجرتهم للمغرب وأضحت تحمل طابعا محليا.<br>_ كما كتب عن المغازي( غزوة قصر الذهب ومعركة علي مع راس الغول) |
| ألفريد بل Alfred Bel | _نشر قصة الجازية وعلق عليها، وأرجعها إلى أصل عربي.<br>_بحث في أصول المغازي وأسباب رواجها في الأوساط الشعبية وأهدافها ودور المرأة فيها.( غزوة الخندق وغزوة الإمام علي مع راس الغول).<br>_ تكلم عن المداحين. |
| جان ديسبرميه Jean Desparmet | كتب بدوره عن المغازي. |

ورغم محاولات الباحثين الأكاديميين، ومن سبقهم من الضباط العسكريين من البحث في مجال الأدب الشعبي بمختلف أشكاله، فالدراسات ظلت تدور في حلقة ضيقة ولا تواكب تطورات البحث في التراث الشعبي عامة والأدب الشعبي على وجه الخصوص في العالم« بل تكاد تفتقد هذه الدراسات التصور النظري العام والمعالجة المنهجية الدقيقة، ويغلب عليها طابع الانطباعات العفوية، التي لا تخضع لمنهج أو نظرية، ومحاولة ألفريد بل العودة بأصول القصص التي عالجها، لا يرقى إلى حد الدقة والضبط التي عرفتها المدرسة الفنلندية،

كما أما جان ديسبرميه فأحكامه حول مجتمع القصص وقصصه، اعتبرت عامة ومتعصبة سياسيا وهو ما أبعده عن الموضوعية والعلمية» (بورايو، 2007، صفحة 18_19)

**ب_ عناية المؤسسة الثقافية الوطنية:**

العناية بمواد الثقافة الشعبية لم تكن من قبل المؤسسة الفرنسية فقط، وإنما كانت هناك جهود من قبل المؤسسة الوطنية وأبناء الجزائر المثقفين، هذه الجهود كانت على فترات ما قبل العهد الاستعماري وأثناءه وبعد الاستقلال، وسنحاول التعرف على هذه الجهود:

**.2ب.1_ قبل العهد الاستعماري:**

في نهاية العهد التركي ومستهل العهد الاستعماري، أي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر نشطت حركة علمية لبعض المثقفين، اعتبرت هذه الحركة هي الوجه الرسمي للمؤسسة الثقافية الجزائرية تحدث عنها المؤرخ أبو القاسم سعد الله قائلا:« ثم شهد القرن الثاني عشر(18م) وأوائل الثالث عشر حركة قوية في صفوف العلماء والعناية بالتعليم وكثرة التآليف، ففي أواخر القرن المذكور( الثاني عشر)، بدأت حركة نشيطة بتشجيع التعليم والعناية بالأوقاف والاهتمام بالعلماء والكتب...ولولا الاحتلال الفرنسي لأخذت تلك الحركة في التوسع والنمو، ولسبقت الجزائر أخواتها بالنهوض والتخلص من ظاهرة الجمود» (القاسم، 1981، صفحة 14)، فلقد اعتبرت الفترة الاستعمارية حجر العثرة الذي أوقف الحركة العلمية والفكرية والتقدم في الجزائر، وسنبين في هذا الجدول مجموع الأبحاث في مجال التراث الشعبي من قبل مثقفي الجزائر: (بورايو، 2007، صفحة 22_23)

| الباحث | عنوان الكتاب | المجال | المحتوى |
|---|---|---|---|
| عبد الرزاق بن حمادوش (1107م_1200م) | كشف الرموز | الطب الشعبي | يشتمل الكتاب على حوالي الف مادة تشتمل على أسماء الأمراض والأدوية المعروفة في الجزائر ومقابلها في بعض اللهجات المحلية والعربية وبعض اللغات الأوروبية. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| حمدان خوجة | مخطوط عربي ضائع لم يطبع يحمل عنوان: المرآة، وترجم عنه كتاب بالفرنسية عنوانه: Aperçu et statistique sur la régence d'Alger وترجمت عنه نسخة عربية بعد الاستقلال | عادات المسلمين وأخلاقهم | يمثل مرافعة دفاع عن أخلاق المسلمين وعادات الجزائريين اتجاه الغزاة الفرنسيين من العسكر الذين جاؤوا إلى الجزائر ليقوضوا صرح مجتمعها. |

**2.ب.2_ أثناء العهد الاستعماري:**

في نهاية القرن19 والنصف الأول من القرن20، ظهرت جهود بعض المثقفين من أبناء الجزائر، وبالرغم من تكونهم على يد الفرنسيين في مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة، إلا انهم اهتموا بالتراث الشعبي الجزائري ودرسوه بموضوعية، وتذكر الباحثة فاني كولونا نقلا عن كتاب لـ إيمي دوبوي Aime Dupuy سنة 1937حول مدرسة المعلمين ببوزريعة فتقول:« إجمالا فمدرسة المعلمين ببوزريعة، هي التي زودت رونيه باسيط بمجموع تلامذته المختصين في الدراسات البربرية» (بورايو، 2007، صفحة 24) وسنوضح في الجدول الآتي أهم الباحثين وجهودهم في هذه الفترة، مثلما تكلم عن ذلك الدكتور بورايو (بورايو، 2007، صفحة 24_25):

| الباحث | جهوده في دراسة التراث الشعبي |
|---|---|
| عمار بوليفة | تفرغ لدراسة اللهجات البربرية وآدابها |
| محمد بن شنب | _تخصص في التراث العربي الإسلامي .<br>_اهتم بالأمثال الشعبية وأفرد لها كتابا.<br>_كتب عن اللباس الشعبي.<br>_كتب عن بعض التقاليد في المدينة العتيقة القصبة بالعاصمة. |
| سعد الدين بن شنب( ابن محمد بن شنب) | اعتنى بأشكال التعبير الشعبية والتقاليد، ونشر حولها دراسات في المجلة الإفريقية. |

رغم تكون هؤلاء الباحثين في المدرسة الفرنسية، ألا أنهم انتقدوا سابقيهم من الباحثين الفرنسيين، فبوليفة ينتقد أ. هانوطو A.Hanoteau في كتاب أنجزه هذا الأخير يحمل عنوان" الشعر الشعبي لقبائل جرجرة" ويرى« ان صاحبه لم يكلف نفسه التمييز بين الشعراء الجيدين والشعراء الضعاف، وأخذ مادته في الأغلب من هؤلاء الأخيرين، وخلط بين الرواة حملة الشعر والشعراء المبدعين... لم يلتق هانوطو للأسف إلا بشعراء مناسبات، مثلما هو الحال بالنسبة للطبابلة والمدّاحين، ممن وجدوا أنفسهم شعراء بالقوة بسبب ظروفهم المعيشية» (بورايو، 2007، صفحة 25)، وكان هذا السبب هو أحد العوامل المساهمة في سطحية الدراسات التي قام بها الفرنسيون سواء الضباط أو الأكاديميين.

كما انتقد محمد شنب في مصنفه للأمثال الشعبية الباحث المستشرق شربونو Charbonneau، الذي أطلق أحكاما تنتقص من قيمتها فقال:« إنه بالاستعانة بمثل يتم إسكات ثرثار وإنعاش محادثة والتوليف بين القلوب، واجتناب الخطب الطويلة وتوبيخ الضال والاستجابة لدعوة، لذا لا يجب أن نصدق ما قاله شربونو Charbonneau بأن المحادثة عند العرب ماهي سوى تجميع لعبارات نمطية تلائم الظرف» (بورايو، 2007، صفحة 26)، وانطلاقا من هذا الرأي نصل ليقين بأن هؤلاء الدارسين الجزائريين، بحكم أنهم من أبناء الوطن، فانتقائهم لها كان مختلفا وأكثر قربا، كما أن علاقتهم بالرواة كانت أمتن من الجامعين الفرنسيين وهو الأمر الذي يجعلهم أقدر على فهمها وتحليلها والتعليق عليها.

ورغم توفر شروط البحث في أبناء الجزائر، إلا أن ما قاموا به من دراسات لا يواكب الدراسات العالمية حينها ذلك« أنهم من الناحية المنهجية لم يتجاوزوا طرق البحث السابقة ولم يستفيدوا من التطورات المنهجية، التي عرفتها العلوم الاجتماعية في أوروبا في هذه الفترة بحيث لم نعثر عندهم على تطبيقات نفسية، أو أنثروبولوجية وظيفية أو بنائية، أو مورفولوجية على مواد الثقافة الشعبية» (بورايو، 2007، صفحة 26)، وبالتالي ظل البحث في الثقافة الشعبية عموما والأدب الشعبي الجزائري، غير مواكب للتطورات التي مست دراسات التراث الشعبي في العالم.

بعد الحرب العالمية الأولى، تبلورت في الجزائر الحركة الوطنية، في وجهها السياسي والثقافي، فتشكلت الأحزاب والجمعيات، وولد من رحمها مثقفون منهم من هاجر واحتك بالثقافة الفرنسية اليسارية المتغنية

بالديمقراطية، ومنهم من اندمج في نشاط الأحزاب، فخلق داخلهم تشبع بالروح الوطنية فـ« اندفعوا في غمرة الحماس الوطني المتأجج، يعبرون عن انتمائهم لشعبهم عن طريق بيان تعاطفهم مع تراثه الروحي، واهتمامهم بمواده جمعا وتوظيفا في أعمالهم الإبداعية من بين هؤلاء: كتاب القصة مولود فرعون ومحمد ديب وكاتب ياسين ورسامي المنمنمات محمد راسم ورجال المسرح باشطارزي محي الدين ورشيد القسنطيني وعلي سلالي..الخ» (بورايو، 2007، صفحة 26_27)، فقد عكس هؤلاء الأدباء اهتمامهم بمواد الثقافة الشعبية بأن وظفوها في أعمالهم مثل العادات والتقاليد والطقوس وأشكال التعبير الشعبي، من أمثال وأغان وأساطير وألغاز وخرافات ..الخ.

**.2ب.3_ فترة بعد الاستقلال:**

مع مطلع الاستقلال عرفت مؤسسات الدولة الجزائرية « هيمنة توجهين ثقافيين أساسيين كان لهما دور كبير في قيادة وتسيير حركة التحرر الوطنين وهما الحركة الإصلاحية الدينية والتوجه الثقافي والتقني المفرنس ولم يكن لأي منهما اهتمام بالثقافة الشعبية الجزائرية، حيث هدف الحركة الأولى هو رد الاعتبار للغة العربية، والعناية بالتوجيه الأخلاقي المستمد من تعاليم الإسلام، وتنظيم التعليم الديني ودمجه في المنظومة التربوية، وهدف الحركة الثانية هو الانشغال بقضايا التنمية والاقتصاد، اعتمادا على النقل الحرفي للمنظومة التقنية الغربية» (بورايو، 2007، صفحة 27_28) ، وانطلاقا من هذه التوجهات التي رسمت لنفسها أهدافا، تقلصت دائرة الاهتمام بالثقافة الشعبية.

إن الاهتمام بمواد الثقافة الشعبية في فترة الستينات والسبعينات كان قليلا ومن قبل هيئات معينة فقط وسنوضحها في الجدول التالي: (بورايو، 2007، صفحة 28_29_30):

| الهيئة | نشاطها في الاهتمام بالثقافة الشعبية |
|---|---|
| مركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا وفي عصور ما قبل التاريخ والإثنولوجيا، حيث تأسس سنة 1953 ولازال مستمرا ليومنا هذا. | _ظل يصدر مجلة لبيكا المهتمة بالدراسات الشعبية.<br>_ يرسل ببعثاته نحو مناطق الهوقار والصحراء في منطقة الجنوب الغربي مهتما بالحفريات والنقوش في الجبال الصخرية وبالأدوات المنزلية وبالفخار. |

| | |
|---|---|
| الإذاعة الوطنية | استحدثت بعض البرامج التي تعتني بالموروث الشعبي الشفوي مثل الشعر الملحون والأمثال والأغاني والبوقالات. |
| وزارة الثقافة | ـــبإصدار مجلة آمال حيث صدر عدد خاص بالشعر الملحون1969.<br>ـــاستحدثت المكاتب السياحية خاصة في المدن الكبرى بالجنوب، لتكون همزة وصل بين الدارسين الخارجيين ومواطني المدينة وعن طريقها يتم التعرف على المرشدين الذين يدلون الباحث في مجال المأثورات الشعبية على حملة المواد.<br>ـــ أوكلت مهمة رعاية الفرق الغنائية الشعبية وفرق الرقص للبلديات واستدعائها لتمثيل مناطقها وكذا التمثيل الوطني في المهرجانات. |
| الجامعة الجزائرية | ـــ في الستينات وبداية السبعينات ظلت بعض مواد الإثنولوجيا مبرمجة في قسم علم الاجتماع.<br>ـــ في السبعينات(1973) تم إلغاء مادة الإثنولوجيا باعتبارها موروث استعماري، واستحدثت مادة الأدب الشعبي كمادة ضمن تخصص اللغة العربية وآدابها ليومنا هذا. |

ونظرا لأهمية التوجه التقني عند الطلاب، ومسايرة الراهن حينذاك، فإن شعبة الأدب العربي كانت تعاني النفور ولا تستقطب إلا القلة، وكل هذا ساهم في تقوقع الأدب الشعبي أكثر من ذي قبل، ورغم استحداث الدولة ممثلة في وزارة التعليم العالي معاهد الثقافة الشعبية في بعض أقطار الجزائر فإن الأدب الشعبي مازال يحتاج لإعادة نظر شاملة.

**خاتمة:**

ما يمكن استنتاجه أن :

_ أغلبية الدراسات الاستعمارية كانت مسخرة لخدمة الاستيطان والهيمنة وخلق التفرقة بين أبناء الوطن الواحد.

_ قد تحاشت فرنسا الاهتمام بأشكال التعبير في الأدب الشعبي في فترة الثورة التحريرية وأثناء فترة النضال السياسي في الحركة الوطنية كي لا يوظف سياسيا.

_ بعد الحرب العالمية الأولى تكفل المسرح الجزائري بحفظ هذا الثقافة الشعبية، فكانت الحركة المسرحية بمثابة تثمين للثقافة الشعبية، ونفس الاتجاه كان مع الرواية التي نضجت بعد الحرب العالمية الثانية.

_ بعد الاستقلال لم يكن للتراث نصيب من الاهتمام لدى المؤسسة الرسمية الجزائرية، باعتبار أن الاهتمام كان منصبا على الجانب التنموي والاقتصادي، وفي هذا الإطار تم استبعاد اختصاص "الأنثروبولوجيا" من المنظومة التعليمية في فترة السبعينيات باعتباره اختصاصا علميا استعماريا، مع الاحتفاظ ببعض الفنون الشعبية والتراث، منها "الأدب الشعبي" في أقسام الأدب العربي في الجامعات، بالإضافة الى الاهتمام بهذه الثقافة في بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وهذه الاخيرة لم تكن سوى مبادرات فردية، تقلص إثرها الاهتمام والبحث في الثقافة الشعبية عموما.

_ شهدت فترة الثمانينات إنشاء مراكز للبحث، منها مركز تيزي وزو الخاص بالثقافة الأمازيغية وفتحت أقسام للماجستير في ولايات مجددة، وتعزز علم الاجتماع الثقافي وأنشئت مراكز البحوث، منها مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران، وتعزيز معهد الثقافة الشعبية بتلمسان.. إلا أن هذه المراكز ليس لها مشروع لجمع التراث على المستوى الوطني، وبالتالي تكمن الحاجة في وجود مركز وطني يهتم بأرشفة وجمع التراث ضمن استراتيجية بعيدة المدى، وتعميم المناطق الداخلية كذلك بمثل هذه المراكز.

_ الأدب الشعبي لازال لليوم يعيش أزمة خانقة، خلفها الإقصاء والتهميش في الجامعة الجزائرية، وهو ما يجب الوقوف عنده بحلول إصلاحية سريعة، لأن ضياعه هو ضياع للهوية الوطنية.

**الإحالات والهوامش:**

*http://www.opvm.dz*. (22 04, 2021).

أحمد زغب. (2008). *الأدب الشعبي، النظرية والتطبيق*. الوادي: مطبعة مزوار.

سعد الله أبو القاسم. (1981). *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد ج1). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

سليم شاكر مصطفى. (1991). *قاومس الأنثروبولوجيا*. الكويت.
عبد الحميد بورايو. (2007). *الادب الشعبي الجزائري، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر*. الجزائر: دار القصبة.
عبد الحميد يونس. (بلا تاريخ). *معجم الفولكلور*. موقع كتب عربية.
عبد القادر محمد. (1992). إحياء التراث ونشره دعم للحاضر واستشراف للمستقبل. *مجلة الوثيقة*(21).
لطفي الخوري. (1979). *في علم التراث الشعبي*. العراق: وزارة الثقافة والفنون.
محمد الجوهري. (1981). *علم الفولكلور، الأسس النظرية والمنهجية*. القاهرة: دار المعارف.

:الأدب الشعبي في مقابل مصطلحات أشمل _

قبل الخوض في إدراج مصطلح الأدب الشعبي، لابد من المرور على مصطلحات يعتبر الأدب الشعبي جزءا منها أو أحد أشكالها، من أهم هذه المصطلحات الفولكلور، بالإضافة إلى ما ولدته الترجمات العربية من مصطلحات مقابلة لهذا الأخير، ونبدأ بمصطلح:

:أ_ الفولكلور

لقد وضع هذا المصطلح لأول مرة من قبل الإنجليزي "وليم جون توماس " Thomas jhon William بمعنى معرفة، أي أن كلمة lore بمعنى شعب، folk منتصف القرن التاسع عشر ، وهو لغويا يتكون من لفظين فولكلور تعني المعرفة الشعبية ، وتوماس يعرفه بأنه« المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة بين عامة الناس، والأمثال...الخ التي Ballades وبأنه آداب السلوك والعادات وما يراعيه الناس، والخرافات والأغاني الروائية ترجع إلى العصور السالفة» ، ولكن المصطلح بعدها لم يعد مقصورا على العادات والتقاليد والفنون المتمثلة سواء في الرقص أو الموسيقى، فقد أصبح يشمل كذلك ما يسمى بالمواد المشكلة والتي حكم عليها بالشعبية، من هذه المواد وحسب ما حدده الباحث "شاكر مصطفى سليم" تلك « التي لها وظائف حيوية واجتماعية كالنقوش والصور، والتماثيل والعمارة ، وبعض الدارسين يرى أن الحرف والصناعات اليدوية المتداولة ، تدخل في مجال الفولكلور» ، فيما هناك فئة قصرته على التراث الشفوي فحسب.

وإن عاش هذا المصطلح الجدل والاختلاف في الثقافات الغربية، فإنه عاش فوضى مصطلحية ربما أشد حدة في الثقافة العربية، إذ قابلته الترجمات بعدة مصطلحات معربة، وتبنى كل باحث عربي المصطلح الذي يراه أنسب، ففئة تبنت مصطلح التراث الشعبي، وأخرى المأثور الشعبي، فيما رأت غيرهما أن الثقافة الشعبية أفضل مقابل للفولكلور وهناك من رأى أن الإبقاء على المصطلح العالمي أفضل حل من بينهم الدارسين المصريين" أحمد مرسي ومحمد الجوهري".